صدر عن دار (المدى):

(ساعات القدر في تاريخ البشرية) لتسفايج:

مغامرون غيروا مسار العالم وساروا نحو الخلود في اللحظة الحاسمة!

كولمبس

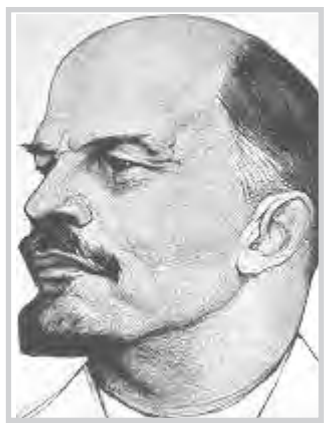
لينين

دمشق ـ ابراهيم حاج عبدي

كل شيء حدث ويحدث على هذه الأرض يصبح تاريخا، وهذا التاريخ الممتد لملايين السنين حافل بالأحداث والوقائع النافلة والمألوفة، بيد أن ثمة لحظات وساعات قليلة في هذا التاريخ يمكن وصفها بـ "النادرة"، و"الحاسمة"، و"غير المتوقعة". ساعات غيرت مجرى التاريخ، ورفعت أناسا قلائل إلى مصاف القديسين والآلهة الأسطوريين، وغيرت وجه العالم على النحو الذي أراده طموح من يجري في شرايينه دم المغامرين، وتتقد في عينيه رغبة عارمة إلى توجيه مسار القدر بحيث يستطيع قطف ثمار المجد. لم يكن التاريخ بخيلا مع هؤلاء العباقرة، والحالمين فسجل، لمن قهر الظروف، وتحدى الصعاب، واقتحم المجهول، إنجازا يشير إلى شخص اختلس من الزمن اللامتناهي ساعة، ليضمن لنفسه الخلود.

أسماء قليلة اقتنصت الفرصة السانحة، بل صنعت الفرصة لتكون صاحبة "ساعات القدر في تاريخ البشرية" التي يتخذ منها ستيفان تسفايج عنوانا لكتابه الصادر أخيرا عن دار المدى بدمشق بترجمة محمد جديد(دمشق . ٢٠٠٥)، والذي يستهله بقناعة تفيد "لابد، دائما،من أن تتسرب الملايين من الساعات في تاريخ العالم هدرا قبل أن تظهر إلى حيز الوجود ساعة تاريخية حقا، ساعة حاسمة من ساعات البشرية".

كتب تسفايج شيئا مشابها في كتابه "بناة العالم" الذي اقتصر حديثه فيه على الفنون والآداب، لكنه في هذا الكتاب يتوسع المشهد أكثر إذ يجمع فيه تسفايج بين الفنون والحياة معا، فيختار مجموعة من الأحداث والوقائع النادرة في تاريخ العالم صنعها إبطال ارتقوا سلم المجد، بعد أن سطع في مخيلتهم نور يهديهم إلى العمل الغريب، النادر، اللامألوف في غفلة من الزمن. هذه الساعات الحاسمة التي يقف عندها تسفايج هي فعلا ساعة بقياس الزمن الفعلي، لكن تأثيرها الحاسم يمتد على مدى عقود من الزمان، بل وقرون، ولا أحد يمكن أن يفسر تلك اللحظات الحاسمة فهي تأتي كوحي أو الهام، كبلاهة أو حنكة، كنباهة أو سذاجة وفي جميع الأحوال يكون فعلا أقرب إلى الجنون، والتمرد، والعبث.

ولئن اشتهر تسفايج (ولد في فيينا عام ١٨٨١) كقاص وروائي من بين أعماله "فوضى المشاعر"، و"رسالة حب من امرأة مجهولة"، و"قلوب تحترق" وغيرها، لكنه اشتهر أيضا بتحليلاته العميقة لحياة المشاهير من الأدباء والقادة والمفكرين والساسة...عبر الغوص في تفاصيل حياتهم، والإمعان في قسمات وجوههم، والكشف عن الأسرار التي اكتنفت مصائرهم محاولا الوصول إلى منبع الإشعاع الذي توهج، ذات إشراقة، في دهاليز روحهم ليشع بنوره على العالم.

يقدم تسفايج في هذا الكتاب تصويرا دقيقا للشهور والأيام التي سبقت "ساعة القدر"، ويرصد سلوك أبطال هذه الساعات، والقلق الذي يلف أرواحهم، والرغبة العميقة التي تغلي بين جوارحهم، والذكاء المتقد، والفضول الجامح لاقتحام المجهول والغامض، والأقدام على عمل استثنائي. وفيما يلي نسجل خلاصة لبعض تلك الساعات التي أوردها تسفايج في كتابه.

اكتشاف المحيط الهادئ:

كان اكتشاف كولومبوس في العام ١٤٩٢ للقارة الأمريكية "إيذانا بظهور قيم وأخلاقيات ومفاهيم ومقولات كادت تشكل قطيعة مع مثيلاتها القائمة في القارة العجوز أوربا التي بدأ مواطنوها منذ ذاك يتطلعون بنهم إلى هذه القارة البكر هربا من الحروب والأمراض والصراعات التي كانت تعصف بقارتهم، ومن القيود الدينية والدنيوية التي كانت تكبلها، وبحثا عن ملاذ آمن وموعود يحقق لهم الثروة والسلطان والمال والمكانة اللائقة في ما وراء البحار، وهكذا حزم الآلاف من بريطانيا واسكتلندا وهولندا وفرنسا والبرتغال وأسبانيا وغيرها من الدول الأوربية حقائبهم وذهبوا باتجاه القارة البكر، فقد كان كولومبوس لدى عودته من أمريكا المكتشفة عرض أعدادا لا تحصى من النفائس والطرائف، وبث إشاعة بأنه "يوجد هناك تحت طبقة رقيقة من التراب، الذهب النفيس في الحقول، وتوجد ممالك يشرب فيها الملوك من آنية من ذهب".

من بين الكثيرين ممن ذهبوا رجل هارب، ومغمور يدعى فاسكو نونيز دي بالبووا الذي يصل إلى الأرض الجديدة، فيزور أحد وجهاء القبائل هو الزعيم المحلي كوماجر، ليسمع منه قولا لن ينساه: "ما اغرب اقتتالكم من اجل هذا المعدن العادي، هناك وراء هذه الجبال يوجد بحر هائل وكل الأنهار التي تصب فيه تأتي معها بالذهب". في الأول من أيلول ١٥١٣ يبدأ بالبووا مسيرته إلى الخلود، وبعد رحلة مضنية، وشاقة، وخطيرة يعبر خلالها الأراضي البكر، والأدغال، والغابات يصل إلى منطقة قريبة من الساحل الغربي للقارة الأمريكية، ويلاحظ تسفايج بان ثمة خليطاً فريداً، لا سبيل إلى تفسيره، في شخصية هؤلاء الفاتحين وأسلوبهم، إذ يتسمون بالتقوى والإيمان، ويجأرون إلى الله بالدعاء من قلب يستعر حرارة ويرتكبون في الوقت ذاته، باسمه، اشد الفظائع الوحشية افتضاحا.

وكان بالبووا من هذا النوع، ومتيقنا من أهمية عمله في تاريخ البشرية، ويعلم ان الخامس والعشرين من أيلول ١٥١٣ سيكون من الأيام المعدودة في تاريخ العالم، وبروح إسبانية رائعة يعرب هذا المغامر المستهتر، القاسي، عن مقدار الاكتمال الذي فهم به معنى رسالته التي تتخطى العصور، فقد دله السكان إلى رابية يستطيع من ذروتها ان يبصر البحر المجهول. عند اقترابه، وفريقه المؤلف من سبعة وستين من اصل مائة وتسعين في بداية الرحلة الشاقة، يأمر بالبووا الفريق بالتوقف. لا يريد لأحد ان يتبعه، ويشاطره هذه النظرة الأولى على المحيط. انه يريد ان يكون وحده، ويظل إلى الأبد، الإسباني الأول، والأوربي الأول، والمسيحي الأول الذي يبصر الآن، بعد ان عبر المحيط الأول الأطلسي، المحيط الآخر الهادئ الذي ما زال مجهولا، ورويدا، رويدا، واجب القلب، وقد تغلغلت في أعماقه أهمية اللحظة، يرتقي الجبل والراية في يسراه، والسيف في يمناه، ويلوح أمامه في الأفق البعيد قرص عملاق يعكس بريقا معدنيا...إنه البحر الجديد الذي كان حتى الآن لا يلوح إلا في الأحلام، البحر الذي تغسل أمواجه أمريكا، والهند، والصين، وينظر بالبووا، وينظر، وينظر فخورا وسعيدا، وهو يعي، في داخل وعيه، أن عينه هي أول عين لأوربي تنعكس فيها الزرقة اللانهائية لهذا البحر. وبعد أيام قلائل يخطو بالبووا مع اخلص رفاقه إلى منصة الإعدام لأنه تمرد على التاج الملكي سابقا، ويبرق سيف الجلاد، وفي ثانية واحدة تنطفئ في الرأس المتدحرج إلى الأرض، إلى الأبد، العين التي كانت أول عين ترى زرقة المحيط الهادئ.

فتح قسطنطينية:

أما فتح قسطنطينية فتم على يد محمد اكبر أبناء السلطان مراد، البالغ من العمر واحداً وعشرين عاما، فما ان يسمع بموت والده حتى يقمع، ويسحق أي حركة تطالب بالعرش لدرجة يأمر فيها بخنق أخيه القاصر في الحمام، ويلحق بالقتيل القاتل. محمد هذا جمع بين خصلتين: التقوى، والقسوة، حرارة العاطفة والخبث. هذا الرجل ذو العينين الثاقبتين الكئيبتين، والأنف الحاد الذي ينم عن الشراسة، يثبت، في وقت واحد، انه عامل لا يعتريه الكلل، وجندي جسور، وديبلوماسي لا يردعه عائق. تؤرقه فكرة ان يتفوق على جده بيازيد، ووالده مراد وهدفه ان يفتح القسطنطينية آخر ما تبقى من تاج قسطنطين، وجستنيان الإمبراطوري.

في آب ١٤٥٢ يستدعي محمد أغواته وباشواته لاجتماع يعلن فيه رغبته في اقتحام القلعة الأخيرة للإمبراطورية البيزنطية، قسطنطينية المحصنة بسور عملاق والتي لا تخترقه المدافع العادية، فيستدعي، بثمن باهظ، اورباس الهنغاري اكثر سباكي المدافع خبرة في العالم، والذي يصنع مدفعا عملاقا، وينقل هذا التنين الهائل عبر تراقيا بأسرها إلى أسوار القسطنطينية، وتبدأ ملحمة أوديسة جديدة، وإذ تعصى على الفتح فان محمدا الذي يعد واحدا من أكثر الحالمين ندرة، يعرف كيف يحول الأحلام بإرادته إلى واقع، فيصمم خطة تنطوي على جسارة تضعها في مصاف الخطط البارعة، يقوم بنقل أسطوله من البحر الخارجي حيث لا يكون مجديا عبر اللسان البري إلى الميناء الداخلي ميناء القرن الذهبي. الخطة هي الاجتياز بمئات السفن، عبر البر، برزخا جبليا. تبدو صورة من العبث وغير ممكنة لكن محمد يفعل ذلك ويقود القوارب الجبلية إلى حيث تفيد، وإذ يبدو الفعل نوعا من العبث، فان المرء. كما يقول تسفايج. لا يستطيع ان يميز العبقرية العسكرية، دائما، إلا بأنها تهزأ، وهي في غمرة الحرب، بقواعد الحرب. كان كل ذلك يتم بصورة سرية إذ يقول هذا الماكر إلى حد العبقرية "لو عرفت شعرة في لحيتي شيئا من مقصدي لاقتلعتها"، ويضيق الحصار على المدينة المحاصرة، ويبدأ القداس الأخير في كاتدرائية آيا صوفيا بعد ان اقتربت الهزيمة ويدخل محمد منتصرا مع جيشه إلى المدينة في ٢٩ أيار ١٤٥٣ ليدخل بصفته أول عبد من عباد الله كاتدرائية جستنيان، كنيسة الحكمة المقدسة، كنيسة آيا صوفيا ويهوى الصليب الذي كان ناشرا ذراعيه لألف عام، لتتحول الكنسية إلى مسجد.

نشيد المارسيليز، عبقرية ليلة:

في العشرين من نيسان ١٧٩٢ يعلن ملك فرنسا لويس السادس عشر الحرب على إمبراطورية النمسا وملك بروسيا، وفي الخامس والعشرين من نيسان يأتي السعاة بخبر إعلان الحرب إلى ستراسبورج في الشمال القريب من مسرح الحرب المنتظرة، وفي غمرة الخطب وشرب الأنخاب يلتفت عمدة المدينة إلى نقيب شاب يدعى روجيه ويطلب منه أن ينظم شيئا من الشعر للقوات الزاحفة، نشيدا حربيا لجيش الراين، ويقضي النقيب الشاب ليلته في تأليف النشيد، ليكون النشيد الخالد الذي سيعرف باسم المارسيليز حتى ان نابليون لم يكد يصبح إمبراطورا حتى أوعز بشطبه لأنه مفرط في ثوريته، وحين يموت روجيه ابن السادسة والسبعين تصدر التعليمات بان تسجى جثة النقيب المتواضع تحت قبة الانفاليد، وهكذا يثوي آخر الأمر المبدع المغمور إلى أقصى الحدود، لنشيد خالد، في سرداب مقبرة الاماجد في وطنه مستجما من خيبة الأمل المتمثلة في أنه لم يكن سوى شاعر ليلة واحدة.

دقيقة واترلو:

دقيقة واترلو في تاريخ العالم ١٨ حزيران ١٨١٥ هي لحظة حاسمة غيرت مسار القارة الأوربية، ويرى تسفايج هنا ان خيط القدر يعمد في بعض الحالات النادرة إلى الإلقاء بنفسه في مزاج غريب لمدة دقيقة متشنجة راجفة، في يد امرئ تافه كل التفاهة يبدد الفرصة ويستسلم للأمر المصدر إليه. يعود نابليون مجددا إلى ساحة المعركة ليصد الخطر الداهم، فمن الشمال يتقدم الجيش الإنكليزي بقيادة ولينغتون نحو فرنسا، والى جانبه يتحرك جيش بروسي بقيادة بلوشر، وتزحف عبر ألمانيا على سبيل الاحتياط، الكتائب الروسية بطيئة وثقيلة، ولا بد له ان يبعثر جيوش البروسيين، والإنكليز، والنمساويين، وإذ يوجه الضربة الأولى إلى الجيش البروسي الذي يقهر، دون إبادة، إلى بلجيكا، فانه يستعد الآن للضربة الثانية ضد الجيش الإنكليزي، وهنا يأمر مارشاله المجهول غروشي بمطاردة الجيش البروسي منعا للمفاجأة، رغم معرفته بان غروشي ليس بطلا، ولا استراتيجيا، بل مجرد رجل مخلص، يعتمد عليه.

يبدأ الصباح في واترلو بطقس عاصف ومماطر، ولقد وصفت هذه المعركة مرارا غير ان الناس لا يعتريهم التعب من قراءة أحوالها المتبدلة المثيرة في عرض والتر سكوت الرائع، وفي عرض ستندال. هي قطعة فنية حافلة بالتشويق والدرامية بما فيها من التبدل الذي لا يتوقف بين الخوف والأمل الذي ينحل فجأة في لحظة كارثية إلى أقصى الحدود، وهي أنموذج لتراجيديا حقيقية، وإذ تصل المعركة إلى ساعة الحسم فان مصيرها يتوقف على المساعدة فإما ان يتلقاها ولينغتون من بلوشر أو نابليون من غروشي، والخلود معلق بشفتي غروشي الذي لا يستطيع حسم الأمر لإمداد جيش قائده نابليون، فلو كان شجاعا وجريئا لأنقذ فرنسا، لكنه يرفض طلب ضباطه في نجدة نابليون، فهو ينصاع فحسب، للأوامر الموجهة إليه، يرفض تغيير الخطة، ليظهر الزحف البروسي لمساعدة ولينغتون، في حين يتخلف غروشي، فيتراجع جيش الإمبراطور المهزوم ولا ينقذ حياة الإمبراطور إلا الليل فيستلقي في منتصفه في حانة قريبة ملطخا بالأوساخ، مذهولا، وما عاد إمبراطورا، وانتهت مملكته، وأسرته الحاكمة، ومصيره.

لقد حطم جبن إنسان متواضع غير ذي أهمية هو غروشي في ١٨ حزيران ١٨١٥ ما بناه الإنسان الأكثر جرأة، والأبعد نظرا على وجه الإطلاق في عشرين سنة من سنوات البطولة. ويعلق تسفايج على سلوك غروشي بالقول: "كل الفضائل من الحذر، والطاعة، والجد، والتروي...تنصهر عاجزة في لهيب لحظة القدر الكبيرة التي لا تتطلب دائما إلا العبقري، وتصوغ منه صورة دائمة، وهو يرد الجبناء إلى الوراء بازدراء، ولا يرتقي إلا بالجسور الذي هو اله آخر للأرض، بذراعيه الناريتين، إلى سماء الأبطال".

تراجيديا اكتشاف إلدورادو:

في عام ١٨٣٤ توجه باخرة أمريكية من الهافر إلى نيويورك وكان بين مئات اليائسين على متنها رجل سويسري يدعى يوهان اوغست سوتر عمره ٣١ وفي حاجة مستعجلة لعبور المحيط هو المفلس، واللص، ومزور العملات قد تخلى عن زوجته وأولاده الثلاثة متطلعا إلى الأرض الجديدة بحثا عن حياة جديدة. يصل نيويورك ويعمل في مهن عدة: حزاما للطرود، عطارا، طبيب أسنان، بائع أدوية ثم يترك هذه المدينة ويتوجه إلى ميسوري ويصبح فلاحا يؤمن لنفسه ملكا يسيرا، يمر به الناس: تجار الفراء، والصيادون، والمغامرون، والجند يرتحلون إلى الغرب، وشيئا فشيئا تملك هذه الكلمة (الغرب) إيقاعا سحريا، ولأن في عروق سوتر يجري دم المغامرين، ولا يغريه الاستقرار فلاحا طيبا للأرض، يقرر ذات يوم في ١٨٣٧ بيع كل ما يملك ويجهز بعثة وينطلق إلى المجهول.

يسير غربا باتجاه كاليفورنيا وبعد رحلة شاقة يصل إلى الأراضي الخصبة في وادي سكرامينتو في مكان تصلح مملكة سيطلق عليها هيلفيتيا الجديدة. "لماذا هذا الاسم" يسأله الحاكم المحلي، فيرد سوتر: "أنا سويسري، وجمهوري"، ويحقق سوتر نجاحا باهرا، مزارع، ومصانع، وحقولا شاسعة خضراً، وقطعاناً بالمئات من الماشية، وآلاف العمال في هذه المملكة ويغدو أغنى رجل في العالم. وذات يوم من أيام كانون الثاني ١٨٤٨ يأمر أحد النجارين ببناء منشرة جديدة، وسرعان ما يخبره النجار بأنه قد عثر، لدى الحفر، على حبات ذهبية، انه الذهب في مملكته بكاليفورنيا، تتسرب الشائعة وتقع الكارثة، إذ يترك عماله أعمالهم، ويأتي الناس من كل حدب وصوب بحثا عن الذهب لتنهار مملكته إذ يغادر الحدا دون ورشتهم، والرعاة قطعانهم، وزراع الكروم كرومهم، ويتخلى الجند عن بنادقهم ويغدو القوم جميعا كالمهووسين وتصبح مملكته مقفرة، ومجهولة، ويتحول اسم المملكة إلى ألدورادو (موطن أسطوري الثروة) تنهشها يد العبث الباحثة عن الثروة الذهبية، ويرفع سوتر الذي اصبح الآن أفقر رجل في العالم، قضية، ويصدر القاضي النزيه في ١٥ آذار ١٨٥٥ حكما يقضي بأحقية سوتر في تلك الأراضي وما عليها، ليصبح من جديد أغنى رجل في العالم، لكنه ومن جديد سرعان ما يغدو أفقر رجل في العالم، فعلى اثر الحكم تهب عاصفة في سان فرانسيسكو وفي البلاد بأسرها إذ يحتشد الآلاف من غوغاء الشارع يهددون ويقتحمون قصر العدل، ويحرقونه ويبحثون عن القاضي لقتله، ويقتل في هذه العاصفة أولاد سوتر الثلاثة الذين استدعاهم بعد ان حقق المجد والثروة. وبعد أن هدأت العاصفة التي عصفت بثروته ما عادت الآن تشغله إلا فكرة واحدة "الحق والقضية" تومض مشوشة في ذهنه، ويظل يتيه شيخا، ضعيف العقل، مهلهل الثياب يتيه في واشنطن حول قصر العدل، ويعرف الناس في كل المكاتب هذا الرجل في معطفه الوسخ، وبالحذاء الممزق يطالب بملياراته، وبعد ربع قرن من الانتظار أمام قصر العدل والكونغرس تنقذه في ١٧ من نيسان ١٨٨٠ نوبة قلبية، ويتولى القوم إبعاد متسول ميت يحمل في جيبه، وثيقة تضمن له، بحسب كل قوانين الدنيا، الحق في اكبر ثروة في تاريخ العالم.

بهذه النبرة الأسطورية المنطوية على الإعجاب يمضي تسفايج في اختيار ساعات يراها حاسمة في تاريخ البشرية، فيتحدث أيضا عن المغامرة التي اقدم عليها الكابتن الإنكليزي يكوت في اقتحام القطب الجنوبي فيضحي بثروته ويترك أولاده وزوجته، ويجهز سفينة يطلق عليها اسم "الأرض الجديدة" ويغادر إنكلترا في الأول من حزيران ١٩١٠ ويمضي في رحلة عسيرة إلى ان يقترب من الصحراء الجليدية. يسير عبر الهواء الجليدي الذي تشربه الأنفاس البشرية لأول مرة منذ آلاف السنين، وفي الثامن عشر من كانون الثاني يصل، ورفاقه، إلى القطب الجنوبي ولا خيار آخر أمامهم في ذلك الصقيع المجهول والنائي سوى الموت، فيكتب رسالة المحتضر الأخيرة، ويموت يكوت وحيدا في ذلك العالم الأبيض بعد ان عانقت عيناه جليد القطب الجنوبي للمرة الأولى. أما لينين قائد ثورة أكتوبر العظمى ١٩١٧ فكان يعيش في المنفى في مدينة زيوريخ حتى قبيل الثورة بقليل في جزيرة السلام السويسرية إبان الحرب العالمية الأولى، لم يكن ينزل في الفنادق الفخمة ولا يجلس في المقاهي، بل كان يسكن مع زوجته عند إسكافي في عزلة تامة، ولم يكن يلفت نظر أحد، وقلما يأتيه الزوار غير انه يقضي النهار بصورة منتظمة في المكتبة العامة، ثم يقرر الذهاب إلى روسيا وفي ٩ نيسان ١٩١٧ تبدأ ساعة القدر وينطلق القطار وهو يحمل على متنه رجلا مجهولا اسمه لينين يصل إلى الوطن لتبدأ الأيام العشرة التي تهز العالم في ثورة هي إحدى أكبر الثورات التي شهدها العالم قادها رجل كان حتى وقت قريب يسكن لدى إسكافي معزولا، ومجهولاً وهو يحلم بتغيير العالم دونما ضجيج.

تسفايج في هذا الكتاب يضع أعمال الأبطال والقادة والمبدعين تحت مجهر النقد مستعينا بتجربته الأدبية الغنية، وهو يجهد في تأويل ما أقدم عليه هؤلاء عبر قراءة دقيقة ومتأنية للمراحل والظروف والحالات التي مروا بها والأمكنة التي عاشوا فيها، وهو يقارب عوالمهم بكثير من الشغف والحذر والدراية وصولا إلى الساعة الحاسمة "ساعة القدر"، وكل ذلك بلغة ترتقي إلى مصاف النص الأدبي الرفيع الذي يسرد حياة هؤلاء النادرين بكل تناقضاتها وتشعباتها التي تمخضت عن شخصيات ساهمت في تغيير مسار البشرية، وفضلا عن أن كتابات تسفايج في هذا المنحى تعد مرجعا مهما إلا أنها، وفي الوقت نفسه، تحمل قيمتها في ذاتها في لغتها وأسلوبها وبنائها وكذلك في مرجعياتها الفلسفية والأسطورية التي تغني الوقائع والأحداث التي يصفها في أسلوب مشوق، وفي نبرة تنم عن ذكاء متقد.

في جلسة اتحاد ديوان الشرق- الغرب الثقافي

منهجية الخطاب القرآني وآفاق التحليل الأسلوبي

في الجلسة النقاشية ، كرس اتحاد ديوان الشرق- الغرب الثقافي موضوعاً حول الخطاب القرآني وآفاق التحليل الأسلوبي ..

وقد تحدث فيها الدكتور حيدر لازم مطلك ، متوقفا عند (الفنولوجيا) الألمانية نموذجا .. جرت المناقشة في قاعة المحاضرات في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين بحضور جمهور بمقدمته رئيس الاتحاد ، الأستاذ فاضل ثامر ، وبحضور ثلاث قنوات فضائية .. وبعد إن قدمت الكاتبة عالية طالب ، نبذة عن دور اتحاد ديوان المتواصل في عقد جلساته ونشاطاته الثقافية والفنية خارج مقره ، في شارع حيفا ، لأسباب أمنية .. قدمت الباحث الدكتور حيدر لازم .. الأستاذ في الأدب العربي القديم .. دراساته في حقل علوم اللغة .. وندوة آفاق التحليل الأسلوبي للخطاب القرآني ، عند الباحثين الألمان ... والعلاقة بين جهودهم العلمية والدراسات الحديثة .

وقد استهل المحاضر جلسته بالحديث عن الجهود العربية في التفسير ، وهي ، عبر الزمن ، مكثف تحافظ على التفسير والشروحات الكلاسيكية .. بيد إن هناك منذ قرون ، جهوداً لباحثين أجانب ، عملت في التوسع في هذا الحقل ، بفضل المناهج الحديثة ، كالبنيوية والتركيبية والتفكيكية .. وفي طليعتهم عدد من العلماء الألمان . لقد اظهر الباحث أن هذه الجهود ، في التحليل ، لا تتوقف عند الشروحات التقليدية .. في كون النص القرآني ، في رسالته ، يخاطب الجميع .. فهو لم يعد خاصا بالناطقين باللغة العربية .. ولكن هؤلاء العلماء ، قبل كل شيء قاموا بترجمات للنصوص التراثية العربية ، كالشعر .. كما قاموا بالحصول على مئات المخطوطات القديمة .. وتقدر نسبتها بـ ٣٠ بالمئة أو ٣٥ بالمئة منها في ألمانيا .

وقد تحدث الباحث عن أهمية الأسلوب .. فتراث الأمة العربية يرتبط عميقا بالأسلوب والأسلوبية .. فالكتاب الخامس عند سيبويه خصص للصوت .. وقد كرس الناقد شبيتزر عمله في طريقة متطورة في دراسة الأسلوب . وهو من اشهر علماء الألمان .. هاجر إلى أمريكا .. وانصب اهتمامه على دراسة فقه اللغات الرومانسية .. وألف كتاب (علم اللغة) وهو يتحدث عن علم دلالة الألفاظ وتطورها وعلم تأصيل الكلمات . وكان هدفه يكمن في التحري عن المعنى الكامن في ذهن المؤلف .. فهو ينحاز إلى المنهج السيكولوجي .. لأنه راح يفسر آليات المعنى الباطني للعمل مستخدما الحدس أحيانا .. مما جعله يقوم بسلسلة من المقاربات والتحريات . فالنصوص القديمة ستنتج ، في عملها، نصوصا جديدة ، وقد استند إلى أفكار محدودة ، كالقصص المتكررة في النصوص .. وان القران ، كما أشار هذا الباحث ، يقوم على المنهج الاستدلالي .. وفي مسالة عبادة الكواكب هي ليست إشكالية الهية ... لكن لقربها من عقل الإنسان .. لكن ماذا فعل تلامذة شبيتزر ..؟ فعندما ذهبوا إلى قصة ادم (ع) وجدوا إنها تتكرر سبع مرات في القران .. وفي كل مرة هناك اختلاف في تركيبة البناء .. فأحالهم الموضوع إلى قضية مهمة جدا لا ترتبط بالفنولوجيا فقط وإنما في آليات عمل القران الكريم . فالجدل والحوار يعمل بمصادر الأدلة ، إلى جانب البلاغة ، إلى وحدة الخطاب . وقد انتبه الجاحظ إلى هذه الوظيفة .. إذ إن أهمية التردد في قصص الأنبياء ، كما فعل الجاحظ ، يوعزها إلى المتلقي . وإذ كانت البلاغة لا تترجم ، حيث يكتفي غير العربي ، عند العبادة .. فان ضرورة الترجمة تكون مهمة .. فالقران كمعجزة يكمن في الحكمة .. وهو رحمة .. فهل فهم الألمان هذا النص بهذا الشكل ؟

ألمانيا ، منذ زمن بعيد اشتغلت على الشرق الأوسط في بعثات وزيارات علمية ، منذ ١٨٠٠ .. ثم إن الألمان أكثر من غيرهم عملوا في الاستشراق .. وقد قاموا بتحقيقات مهمة ، منها اهتمامهم بعبد القادر الجرجاني .. وترجموا ديوان طرفة بن العبد .. ورسائل الزمخشري .. والألمان ، هم الذين رفضوا معجم ألفاظ الحديث .. كما كانت جهودهم بارزة في تحقيق ديوان المتنبي وطباعته في ألمانيا وعندما توقفوا عند النص القرآني .. ذهبوا إلى الأزهر وطلبوا ترتيب القران حسب التنزيل .. فاستنتجوا إن القران يشتغل بتوكيد ثنائية الاستخلاف والخلاف وخرجوا بنتيجة : إن هذه هي النيابة الإلهية ممثلة في ادم فعلى الملائكة إن تستجيب . وان ثنائية النار والطين لها مغزاها حيث النار مؤذية وان الطين هو رمز للخصب . كما استخدموا السيميائية (علم العلامات) في بعض دراساتهم .. وتوقفو عند القيمة الصوتية .. فبداوا يدرسون الصوت وجمعوا مواصفات له ودلالتها في الكتابة .. مثلما فعل الجاحظ فنقل اللغة من الشفاه الى التِدوين . وضرب الباحث مثلا بكلمة (فرجت) التي أنتجت ٢١ وحدة صوتية . وعندما قسموها كان التردد الصوتي ٩٩ بالمئة .. وعند كلمة (فطرت) ٩٨،٩٩ بالمئة .. حيث الصوت له عمله في تصوير الحدث . لان القران الكريم خاطب جميع المستويات مع إن القران يصعب فهمه من قبل عامة القراء . لقد قدمت الأسلوبية الحديثة عروضها المغرية في تحليل مستويات النص الأدبي ، مستفيدا من اللسانية في اهتمامها الكلي في المنظومة اللغوية التي هي الأساس في مادة النص ومكوناته .. حيث أكد الباحث إن الأسلوبية أكثر مرونة في تحليل الخطاب القرآني ، بطريق التحري الأدبي الذي ينهض برصد العناصر ومنظومات التعبير وتعلقها المضموني على صعيد الأفراد (النظام الصرفي) ، الصوتي ، التركيبي والدلالي ، كما يقدم الخطاب مرونة أعلى في استرداد قصديته أسلوبيا لبنائه المتداخل نصيا بعضه ببعض . إن إشكالية النظرية النقدية العربية كانت وراء الانفتاح على آفاق مناهج قابلة للتطويع في آليات القراءة الحديثة للنص القرآني بمستويات وشكل منظم ، وكان من بين ذلك ما وجده . الباحث . في إجراءات الناقد الألماني (سبيتزر) ممثلا للفنولوجيا الألمانية وتلامذته من بعده الذين قدموا تصنيفا نوعيا في أسلوبية النص وباعتماد قراءته أفقيا وعموديا ، وخدموا المحللين في مجال الكشف عن قيمة الدلالة لمكونات النص وإيقاعاته الصوتية التي عدوها منتجة للصور وكان من أمثلتهم النص القرآني.

ازداد نـــورا

احمد آدم

ذاته... هوى
ازداد سهادا في نوافذه..
ضوء اعرج
ينث ضحكاته
فنصف بياضه يبكي...
هوى...
قطف قدرته
كما يحب ان يقول نعم
امراته اجلت حسنها حتى...
ذكر ياسه على دفتر وسيم
ظل يمنح اصابعه عناقا،
فيزهر تصاوير لا تشاء الثبات.
هلال يرش على الليل
بمنقاره الفضي وما يلمع
قصي عن الضوء..
باموا جه المحبوسة على شفتيه
تكلم وغرق
حروفه قلاع
وفنار بعيد
هوى..
برعم ساهم يشير إلى صورته
داخله
عناقيد من الشروق
ورقة مزينة بالندم
شمها الصيف
بساعة غناء

وفيما بعد..
اشتدت سماؤه بالتماثيل
سجادة من ذكريات
الوقت يصرف غباره
يحفر على غيماته
جسداً نائياً،
تلك مشاعله..
ضياعه..
ودائماً
يمسك بيدي رغبته
يمضي بها...
حيث الزهرة..
تهطل لونها المحترق
بافواج احاديثه
قاسم المقاعد وحدتها
ليس بعيداً
ما احتضن من الطرقات..
نور حالم على الانتظار
تربة انشدت بما فكر
قبل لهاث،
انحنى قليلاً عن الافصاح
فارتوى بحيرته
اذ لوح لاوسع البياضات اسوداداً
ان آتين بلهفة وخطوة
آتين بامتلاء الفراغ...
هذا زرعها .. الحياة،
وما وقف،
له طعم البدء
ينفذ .. ولا يسكن لاحد
هوت المعرفة..
هوى الجسد
اكل ثمار الورق..
ذاته..
هوى
ازداد في شدوه نعاساً
ازداد نورا
في تكسره..